بروم داري

نشرة دورية سنوية. تصدرها جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سه بتواون

اليوم القرآني {الدورة السابعة}

تحت شعار:

دور الحضرة المالكية في ترسيخ الاستقرار الاجتماعي

(الشيخ محمد المنصور سي بروم داري نموذجا)

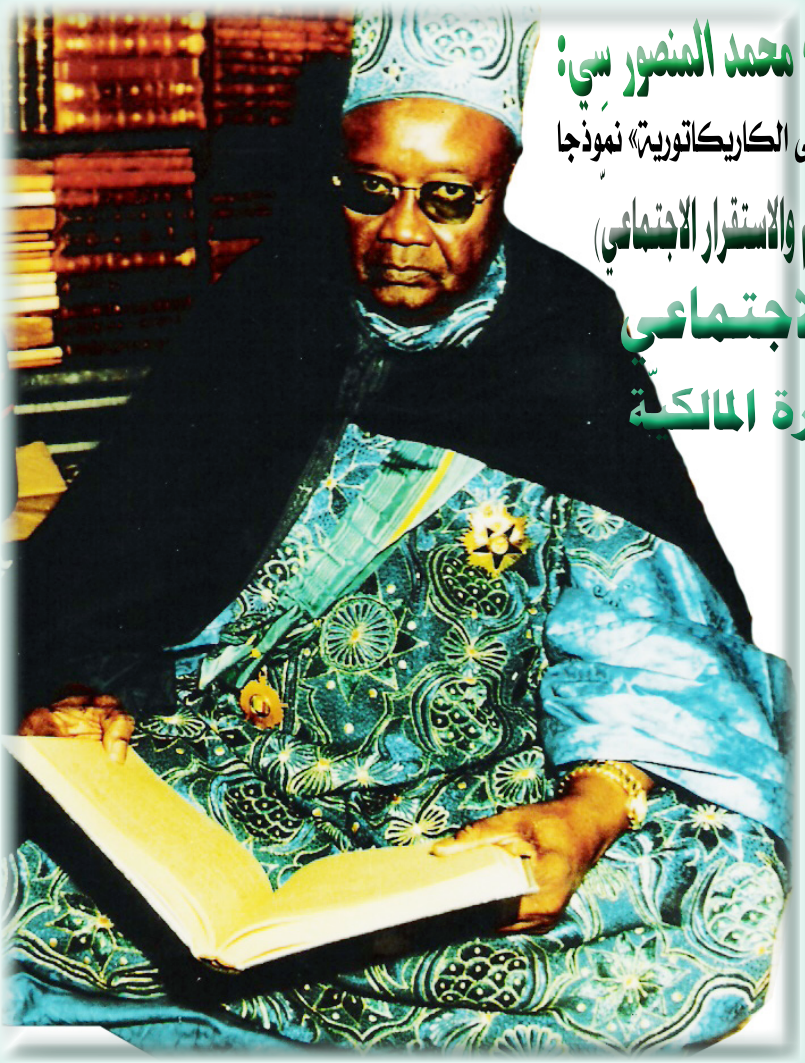

الإصلاح الاجتماعي في شعر الشيخ محمد المنصور سِي:

قصيدة «الشؤمة على هامة البومة في الرد على الكاريكاتورية» نموذجا

(نفوذ السلطة الروحية في تحقيق السلم العام والاستقرار الاجتماعي)

مقومات الاستقرار الاجتماعي

تأصيل في تراث الحضرة المالكية

اللّجنة العلميّة لليوميّة
1445 - 2024

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، وهو خير معين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم الصلاة والسلام على الرسول الامين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الغر المحجلين.

وبعد؛

فإن حاجة الإنسان إلى الأمن والاستقرار حاجة فطرية وضرورة حياتية لديمومة جنسه وبقاءه في سبيل تحقيق مسؤولية عمران الأرض المناطة على عاتقه، فإن سياحه في مشارق الأرض ومغاربها ما هو إلا بحث عن مراتع آمنة تستقر فيها حياته ويطمئن بها قلبه، يحكينا الله – سبحانه وتعالى- عن طبيعة الإنسان- وهو أدرى منا منه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد- :

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

[سورة يونس: ١٢]

فالاستقرار هو اللبنة الأساسية التي عليها ينبني تقدم أي مجتمع، وبه يسعى سعيا حثيثا لتحقيق أهدافه التي يرتبط بتحققها نجاح الأفراد والجماعات أكتعهم، وذلك يستلزم توفر شروط وقوانين تعايش محكمة تنبني على أساسي العدالة والأمن، الذين يعتبران مفتاحا للتنمية الاقتصادية، وهما، بهذا المنظور أيضا، يقومان على أقدام راسخة من مقومات عدة تحدد لهما ديمومتهما لتحمل الأمن والاستقرار المنشودين.

وإذا رجعنا إلى التراث الإسلامي، نجد لعلمائه بصمات واضحة في ترسيخ الأمن والاستقرار في مجتمعاتهم، بدءا من رسول الإسلام الذي أعطي دينا مشتقا من السلام؛ أعني: «الإسلام»، وقال في حديث أبي هريرة، (قال: قال رسول الله ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.)، فمن هنا يتجلى للقارئ أن سيدنا محمدا -صلى الله عليه وسلّم- رسول السلام والأمان والاستقرار، ومن أجله بعث رحمة للعالمين.

ثم خلفه من بعده صحابة وتابعون وعلماء حافظوا على هذا المنهاج، وشيدوا له سياجا محكما من أحكام تعامل إنساني مستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومن بين أولئك العلماء الدعاة الشيخ محمد المنصور سي (بروم داري)، الذي قضى نحبه في خدمة الدين من جوانب شتى، وبذل جهودا مضنية في ترسيخ قوائم الاستقرار الاجتماعي في المجتمع السنغالي.

لهذا، تحرّت جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي (بروم داري) في دورتها السابعة من اليومية القرآنية، إصدار العدد السابع من مجلة «بروم دارج» تحت عنوان: دور الحضرة المالكية في ترسيخ الاستقرار الاجتماعي، الشيخ محمد المنصور سي بروم داري نموذجا» إطلالة على جانب من جهود الحضرة المالكية في الدعوة إلى السلم والاستقرار.

هذا، ونسأل الله أن يفيدنا وإياكم من هذا العدد، نعم المولى ونعم النصير.

الحاج مود مالك صو

المشرف العام لكتاب الشيخ محمد المنصور سي بروم دار تواوون

الإصلاح الاجتماعي في شعر الشيخ محمد المنصور سِي:

قصيدة «الشؤمة على هامة البومة في الرد على الكاريكاتورية» نموذجا

يُعدّ الظلم من أخطر الآفات الاجتماعية، ومن أبشع الأعمال التي تهدد المجتمعات الإنسانية بالانهيار والدمار وانعدام الأمن والاستقرار الاجتماعي، ذلك لأنه يولد البغضاء والانتقام والتشاحن بين الناس، وبهذا يؤدي إلى نشر الفساد وخراب البلاد.

ولخطورة الظلم وتأثيره السيئ على مسيرة المجتمعات البشرية، قد حذره الله عباده منه، وتوعد الظالمين بسوء العاقبة.

ولا شك أن من أخطر أنواع الظلم الاجتماعي الذي يهدد السلام المجتمعي: انتهاك معتقدات الآخرين والإساءة إلى المقدسات الدينية. فذلك - لا ريب في أنها - خط أحمر لا ينبغي الاقتراب منه، بَيْد أن أعداء الإسلام يؤدي بهم البغضاء والحقد والكراهية أحيانا إلى محاولة هتك حرمات هذا الدين الحنيف.

هذا النوع الخطير من الظلم ارتكبه أعداء الإسلام في الغرب لما نشروا الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلّم. فكانت رسوما قامت صحيفة يولاندس بوستن في دنمارك بنشرها، ذلك في سبتمبر 2005م، ثم تبعتها عدة صحف أوروبية في النرويج وألمانيا وفرنسا، وهو ما أثار موجة غضب عارمة على الصعيدين الشعبي والسياسي في العالم الإسلامي، وتعرضت عدة سفارات غربية للهجوم، وأخذت الاحتجاجات طابعا عنيفا في بعض البلدان الإسلامية حتى أدت إلى عشرات القتلى، كما صدرت عدة تهديدات بالقتل ضد رسامي الكاريكاتير ممّا أدى إلى اختفاءهم.

ولا يشك أحد في أن محاولة الإساءة إلى مقام هذا النبي النقي هي بمثابة نبح الكلاب، فلن يضر السحاب، لكن ذلك الفعل الخبيث والظلم المبين - لا ريب في أنه - يجرح مشاعر المسلمين الذين جعلوا النبي أحبّ إليهم من أنفسهم ووالديهم والناس أجمعين. وبناء على ذلك كان موقف الأمة الإسلامية على اختلاف المذاهب والمشارب عدم الرضا بهذا الظلم، ذلك بالضغوط الدبلوماسية للدول والمنظمات الإسلامية إضافة إلى المقاطعة الاقتصادية والتظاهرات الشعبية، كما انهالت أقلام علماء الأمة وأدباءها من كلّ حدب وصوب لإدانة ولاستنكار ذلك الفعل الشنيع.

ومن بين العلماء والأدباء الذين عبرت أقلامهم عن مدى استنكارهم عن تلك الرسوم الظالمة: العالم العلاّمة والأديب الأريب الشيخ محمّد المنصور سِي «بُرُومْ دَارَج» الذي ألف في ذلك كتابا حصل على إقبَال جماهيريّ

أدى إلى ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية. ختم المؤلف الكتاب بقصيدة رائعة في البحر الطويل، والتي تحتوي 32 بيتا مطلعها:

فَتَبَّتْ يَدَاكُمْ أَيُّهَا الْعُصْبَةُ الَّتِي
تُسِيءُ بِرَسْمِ الْبَدْرِ سِرَّ الْبَرِيَّةِ
فَشُلَّتْ يَدَاكُمْ بِئْسَ مَا قَدْ أَثَرْتُمْ
مِنَ الصَّدْرِ أَضْغَانًا لَدَيْكُمْ كَجَمْرَةِ

فالقصيدة تهدف إلى الرد على هذا الظلم العظيم والدفاع عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، لكن فيها جانبا آخر ينبغي أن نلفت النظر إليه وهو أن المؤلف ـ رضي الله عنه ـ كمصلح اجتماعي عالج أيضا في القصيدة قضية من القضايا الاجتماعية وهو الظلم الاجتماعي الذي يهدد الاستقرار والسلم في المجتمع الإنساني.

يرى المؤلف الشيخ محمّد المنصور ـ رحمه الله تعالى ـ أن السبيل الوحيد للأمن والسلم والاستقرار في المجتمع هو اجتناب الظلم الاجتماعي والسعي إلى مواجهته، وفي هذا الصدد يقول في مقدمة القصيدة: «وأقترح إلى الأسرة الدّوْلِيّة جمعاء إيجاد وفاق دوليٍّ يكمل ويضمن لكافّة الأديان بالتّمتّع بحريّة ممارسة العقائد والشّعائر والعبادات، وسنّ قانون دوليّ يقضي ويُلزم الجميع بالاحترام والصيانة للثوابت أيّ الأديان، وينهى عن الانتهاك بالمقدّسات والعقائد حتّى يتسنّى للعَالم أن يعيش في جوّ يسوده الأمن والسلم والاستقرار والاحترام المتبادل».

إن مواجهة الظلم من الأمور المهمة للغاية لبناء السلام والتعايش بين مختلف المكونات المجتمعية، ذلك لأن من أولويات الإصلاح الاجتماعي حلّ مشاكل المجتمع، ومعظم هذه المشاكل يسببها الفقر والجهل والظلم، والشيخ محمّد المنصور كمصلح اجتماعي قضى حياته كلّها في سبيل مساعدة الفقراء، ونشر العلم، ومواجهة الظلم الاجتماعي، وهذه الأخيرة عالجها الشيخ في قصيدته هذه.

ومن أبرز النقاط والمرتكزات التي تناولها الشيخ محمّد المنصور في القصيدة لمواجهة الظلم الاجتماعي ما يلي:

1ـ الإفصاح عن الظلم: الإفصاح عن الظلم والتشهير بالظالم من الأساليب الفعّالة لمواجهة الظلم، فقد فضح القرآن الكريم الكثير من الظالمين، وكشف الأسرار عن ممارساتهم الظالمة، بناء على ذلك ينبغي التشهير بالظالم وذكر مدى خطورة ظلمه حتى يرتدع من تسول له نفسه أن ينتهج نهجه ويسلك مسلكه، ومن هذا المنطلق استخدم المؤلف هذه الوسيلة ففضح مساوئ الطغاة الظالمين، وكشف مخازيهم، وذلك في قوله:

فَتَبَّتْ يَدَاكُمْ أَيُّهَا الْعُصْبَةُ الَّتِي
تُسِيءُ بِرَسْمِ الْبَدْرِ سِرَّ الْبَرِيَّةِ
فَشُلَّتْ يَدَاكُمْ بِئْسَ مَا قَدْ أَثَرْتُمْ
مِنَ الصَّدْرِ أَضْغَانًا لَدَيْكُمْ كَجَمْرَةِ
فَآمَالُكُمْ خَابَتْ وَضَاعَتْ جُهُودُكُمْ
وَعِشْتُمْ حَيَاةَ الْمُعْتَدِينَ بِحَسْرَةِ
وَأَنْتُمْ مُسِيؤُونَ بِهِ وَبِدِينِهِ
فَلاَ نِلْتُمُ فَوْزًا عَلَى سُوءِ نِيَّةِ
تَجَرَّأْتُمُ أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِرَسْمِهِ
أَيُرْسَمُ نُورٌ لاَ يُطَاقُ بِنَظْرَةِ

فنجد أن المؤلف فصح في هذه الأبيات عن ظلم المعتدين، ثمّ بيّن مدى خطورة فعلهم الشنيع، وظلمهم العظيم، وهو محاولة الإساءة إلى الحبيب صلى الله عليه وسلّم. وذكر الشيخ أن ما وراء هذا الظلم المبين إنّما هو حسد وحقد وضغن يحمله المعتدون في صدورهم، لكن جهودهم قد ضاعت، وآمالهم قد خابت.

2ـ الدفاع عن المظلوم: يتحمل المجتمع مسؤولية كبيرة في مساعدة المظلومين بردّ المظالم إليهم، والأخذ بحقوقهم، والدفاع عنهم، وإذا كان هذا في حق بقية الناس، فكيف بحق النبي الذي أكرم الله به البشرية، فأخرجها من الظلمات إلى النور، ومن الذل إلى العز، ومن المهانة إلى الكرامة. إن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم رفيع برفعة

الله له، لن ينال الشانئ منه شيئا. فقد رفع الله ذكره صلى الله عليه وسلّم رغم أنوف الحاقدين والجاحدين، كما كفاه المستهزئين، وعلى الرغم من ذلك يجب على كلّ مسلم أن يدافع عنه، ويذب عن عرضه المصون، وينافح ويناضل أهل المجون. بناء على ذلك دافع الشيخ محمّد المنصور عن حبيبه صلى الله عليه وسلّم بعد أن ذكر مراتبه العليّة، وذلك في أبيات عديدة من القصيدة، نذكر منها ما يلي:

هُوَ الْجَوْهَرُ الْمَكْنُونُ وَالسَّبَبُ الَّذِي

فَلَوْلاَهُ مَا كَانَ الْوُجُودُ بِخَلْقَةِ

وَأَرْوَاحُ كُلِّ الْمُهْتَدِينَ بِهِ غَدَتْ

مِنَ السَّقْيِ أَنْوَارًا لِكَشْفِ الدُّجُنَّةِ

مِنَ الْأَنْبِيَا وَالْمُرْسَلِينَ وَغَيْرِهِمْ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رُوحُهُ أَصْلُ نَشْأَةِ

فَمَنْ لَمْ يَنَلْ مِنْ سَقْيِهِ بَاتَ مُلْحِدًا

وَعَاشَ شَقِيًّا كَافِرًا كُلَّ دَعْوَةِ

فَهَذَا رَسُولُ اللهِ وَالسَّنَدُ الَّذِي

شَفَاعَتُهُ تُرْجَى غَدًا يَوْمَ رَهْبَةِ

فَهَذَا رَسُولُ اللهِ وَالسُّلَّمُ الَّذِي

بِهِ يَرْتَقِي الْأَبْرَارُ سَيْرًا لِحَضْرَةِ

إلى قوله رضي الله عنه:

فَهَذَا رَسُولُ اللهِ لَنْ تَرَى الْعَيْنُ مِثْلَهُ

مِنَ الْخَلْقِ وَالْخُلْقِ فَأَكْبِرْ آيَةِ

نُدَافِعُ عَنْهُ كُلَّمَا قَامَ مُعْتَدِ

فَأَحْمَدُ حَقًّا عِزَّنَا أَيَّ عِزَّةِ

3- رفض الظلم وإدانته: يجب على المجتمع - كما الأفراد - رفض الظلم بجميع صوره وأشكاله، ذلك لأنّ قبول بالظلم هو تشجيع للظالم على الاستمرار في ظلمه، وضياع الحقوق، وانتهاك الحرمات، وتجاوز الحدود... وكلّ ذلك يهلك الفرد ويهدد الاستقرار الاجتماعي، وعليه عبر الشيخ - رحمه الله - في الأبيات الآتية عن مدى رفضه رفضا قاطعا، واستنكاره، وشجبه لتلك الرسوم الظالمة:

كَمَا أَنَّنَا نَأْبَى الْإِسَاءَةَ نَحْوَهُ

لِنَرْفَضَهَا قَطْعًا تِجَاهَ الْأَئِمَّةِ

إلى قوله:

نُدِينُ بِهَذَا الرَّسْمِ فِي شَخْصِهِ الَّذِي

فَبَيْنَ السَّمَا وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ حُرْمَةِ

وَرُتْبَتُهُ الْقَعْسَاءُ فَاتَتْ فَلَمْ يَكُنْ
تُشَوِّهُ يَوْمًا أَوْ يُنَالُ بِتُهْمَةِ

4 ـ عدم التعاون مع الظالم: إن التعاون مع الظالم والميل إليه والرّضا به يؤدي إلى تقوية شأنه وقوته، وهذا يؤدي إلى زيادة مساحة الظلم والجور في المجتمع. وعلى هذا يحذرنا المؤلف في الأبيات التالية من نشر تلك الصور التي تحاول استهزاء النبي صلى الله عليه وسلّم، لأن ذلك يعين المعتدين على ظلمهم:

أُنَاشِدُ إِخْوَانِي مِنَ الدِّينِ جُمْلَةً
عَلَى فَهْمِ وَعْيِ الدِّينِ فِقْهًا كَسِيرَةِ
وَأَنْ يَمْنَعُوا نَيْلَ الرُّسُومِ فَمَنْ سَعَى
عَلَى نَشْرِهَا يَغْدُو كَفَاعِلِ سَبَّةِ

5 ـ الدعوة إلى احترام معتقدات الآخرين: إنّ محاولة التهجّم على معتقدات الآخرين كانت دائما أكثر الطرق المؤدية للمشاكل والاضطرابات في المجتمع. والرسومات المستفزة لمشاعر ما يزيد عن مليار مسلم، وما تولدت منها من غضب وردود أفعال لدليل على أن المجتمع لا يمكن أن يسود فيه الأمن والسلم والاستقرار بدون احترام المشاعر الدينية. ومن هنا يدعو المصلح الاجتماعي الشيخ محمّد المنصور الجميع إلى التعايش السلمي، ثمّ بيّن أن ذلك لن يمكن إلا باحترام معتقدات الآخرين، فيجتنب الجميع هتك الرموز الدينية، وفي هذا الصّدد يقول:

عَلَى أُسْرَةِ الدُّنْيَا شُعُوبًا وَقَادَةً
وِفَاقٌ لِمَنْعِ الْمَسِّ حُرْمَةَ جِلَّةِ
وَنَهْيِ انْتِهَاكٍ لِلْمَشَاعِرِ إِنَّ ذَا
لَيَضْمَنُ عَيْشًا هَيِّنًا لِلْخَلِيقَةِ
فَيَحْيَا الْوَرَى جَوَّ التَّفَاهُمِ هَكَذَا
دَعَا دِينُنَا الْإِسْلَامُ أَمْثَلَ مِلَّةِ

نستنج مما سبق أن المؤلف كان مصلحا اجتماعيّا له دور فعّال في الإصلاح الاجتماعي

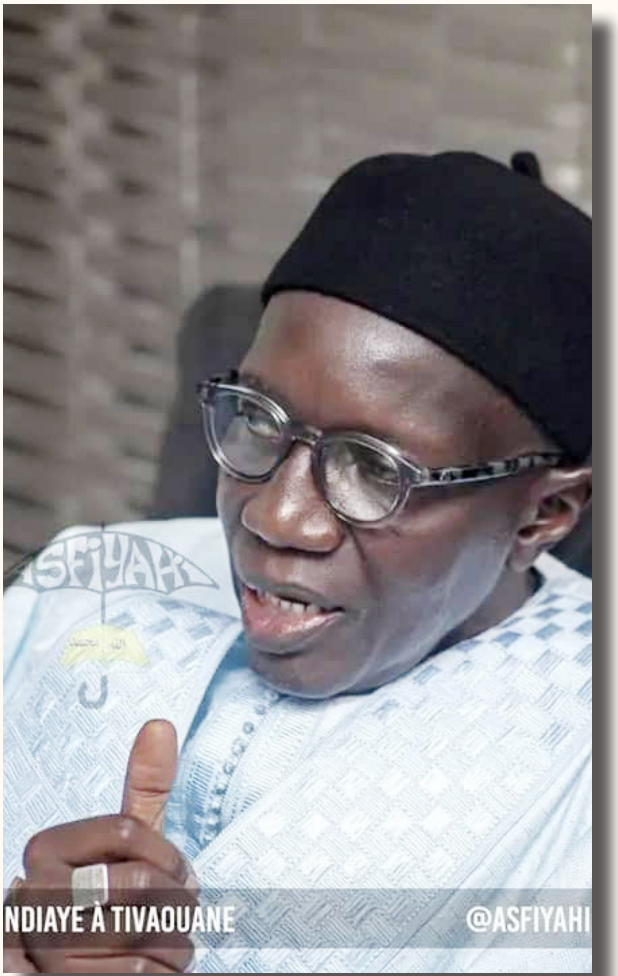

لدى المجتمع، بل كان يهمه التعايش السلمي والاستقرار الاجتماعي. فقد كان غرضه الأساسي من قصيدته الدفاع عن حبيبه صلى الله عليه وسلّم، لكن ذلك لم يمنعه عن إرشاد الناس إلى السبل المؤدية إلى الأمن والسلم الاجتماعي، فاستخدم في قصيدته هذه الوسائل والأساليب والآليات التي ذكرناها لمقارعة الظلم، والوقوف بوجه الظالمين، والتوعية باحترام المعتقدات الدينية، وتجنب المساس بمشاعر الآخرين. فالشيخ محمّد المنصور سي ـ رضي الله عنه ـ كان حقّا من دعاة الإصلاح والعلماء المسلمين الذين تصدوا للإصلاح الاجتماعي. جزاه الله عن الأمة الإسلامية خيرا.

ب قلم الطليب محمّد المنصور سَيْ ابن الإمام المرحوم الحاج عثمان سي رحمه الله

مدينة فال ـ اتياس.

(نفوذ السلطة الروحية في تحقيق السلم العام والاستقرار الاجتماعي)

ثمّة مفهومان عصريان ومقدّسان تتنافس وتسعى المجتمعات الحديثة جاهدة في الوصول إليهما، وتعزيز وجودهما واستمراريتهما، إنهما السلم العام والاستقرار الاجتماعي، وبقدر ما يمثلان نتيجة وحصيلة نهائية لمجموعة متداخلة ومتواصلة من المساعي والأعمال والخطط والمواقف والإجراءات التي تصدر من الأفراد والجماعات، وتصب في قالب صنع هذا المحتوى التعايشي بين أفراد يتقاسمون العيش داخل مساحة جغرافية معينة، فإنهما أيضا يعبران عن حالة نفسية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ووضع عام لن تصل إليه تلك المجتمعات إلا بعد حراك ونضال ورغبة مؤكدة في التغيير، يقلب الأمور رأسا على عقب، ويحول الوضع المزري السابق إلى وضع جديد أفضل، يسري مفعوله في كل خلية أو عنصر يشكل جزء من هذا المجتمع.

السلم العام أشمل في المعنى وأكبر في المساحة عندما يتحقق من الاستقرار الاجتماعي، الذي يتولى تحقيق جانب واحد من جوانب السلم العام، إنه يعني وصول المجتمع إلى حالة عامة ووضعية شاملة من الأمن والاستقرار والرفاهية والنمو والازدهار والتنمية الشاملة، بحيث يشعر فيه كل فرد من أبناءه بالعزة والكرامة في ذواتهم الإنسانية وبتوفر كل المقومات والركائز الضرورية للعيش الكريم والتحرك الحر المطلق، وبالقدرة المنبنية على القانون واللوائح المنظمة لاستمتاع كل فرد فيه بالحقوق والحريات والمميزات التي تتكفل بها القوانين والدساتير المعمول بها في الدولة دون أي تمييز أو استثناء أو محاباة أو تفضيل أو تفريق، إلا إذا قام على أساس موضوعي ومعياري مقبول.

في حالة السلم العام يشعر الأفراد بالأمن الداخلي والاستقرار النفسي والانسجام الوطني مع بقية أفراد مجتمعاتهم، حتى مع وجود خلافات بين بعضهم مع البعض في مسائل وأمور تتعدد فيها وجهات النظر، وتتنوع فيها الآراء الممكنة إصدارها وتبنيها من أي فرد من أفراده، بيد أن القاسم المشترك لهم جميعا هو أنهم يسعون إلى تحقيق الخير والنجاح والازدهار والنماء لمجتمعاتهم مهما كانت وجهات نظرهم متباينة، ومهما تعددت مواقفهم السياسية والحزبية أو الطائفية التي ينتمون إليها، يغطي جو السلم العام الأفراد العائشين تحت مظلته بشعور جماعي مشترك بأن المجتمع والهياكل المختلفة الممثلة له تسهر دائما على تلبية مطالبه، وتحقيق رغباته، والدفاع عن حقوقه، والعدل في التعامل معه في كافة القضايا والأمور المختلفة التي تنشأ بينه وبين بقية الأفراد أو المكونات الموجودة في المجتمع.

تمتد آثار السلم العام على المجتمع إلى آفاق أرحب، ومجالات أوسع، ليضمن توفير الحماية الكاملة والوقاية التامة لأفراده حتى من الأخطار الخارجية والكوارث الجسيمة التي قد تتعقبهم جراء عدوان خارجي، أو تلحق بهم نتيجة كوارث طبيعية أو ظروف قاسية تحدث في العالم بين الفينة والأخرى، أو تُحمَل إليهم تبعة لأفكار دخيلة وتيارات فكرية مناوئة، فيدرأ عنهم الويلات والمصائب والمخاوف التي تهدد

حياتهم أو تقضي عليها، ويساهم جو السلم العام الذي عملت السلطات المعنية في هذه المجتمعات على تحقيقها واستتبابها في طمأنة الأفراد والجماعات، وإعادة السكينة الداخلية والاستقرار والهدوء في أوساطهم، وما من مجتمع ينجح في تحقيق أكبر قدر ممكن من عناصر السلم العام إلا ويكون حظه من الاستقرار الاجتماعي والاستتباب الأمني، والسير الموفق في دروب التنمية والازدهار أكثر من غيره من الدول أو المجتمعات التي لم تستطع تحقيق ذلك القدر الذي حققه.

الاستقرار الاجتماعي مرحلة من مراحل تحقيق السلم العام أو بتعبير آخر، هو عنصر مهم من عناصره؛ إنه حالة مادية محسوسة وملموسة، الاستقرار الاجتماعي يكون أفضل وسيلة يلجأ إليها المجتمع لحفز أبناءه وتحريض مفكريه وعلماءه وعامليه على توقع آفاق مستقبلية بهيجة وواعدة، والأمل في غدٍ أكثر إشراقا ورجاء، إن المرء يتفاءل الخير في غده، ويأمل في مستقبل أمثل من حاضره لأبنائه وأحفاده، إذا كان واقفا على أرضية صلبة من الاستقرار الاجتماعي، ويجد أن كل المؤشرات والدلائل الموجودة حوله تنبئ عن الإمكانات الهائلة التي تكمن في هذا الواقع المعاش لإعداد غد أفضل، وفي هذه المرحلة التي تسبق وجود الأرضية المناسبة للمجتمع للانطلاق نحو الإبداع والابتكار والتنمية والتقدم، تكون الظروف المادية والحقيقية المرتبطة بحياة الأفراد قد تطورت إلى الأحسن، وعم العدل والإنصاف والحكم الرشيد واقع حياتهم اليومية، وغدا تفكيرهم وهمهم منصبا نحو استشراف المستقبل، والتخطط لأعمال وبرامج وأفعال تزيد من الجودة والقيمة النوعية للحياة التي يحيونها حاليا.

في أدبيات السياسة الحديثة وسردياتها توكل -غالبا- إلى قوى أساسية فاعلة في المجتمعات مهمة إدارة وتدبير وتنظيم وتثبيت الأمن والسلم الاجتماعي فيها، هذه القوى عبارة عن ثلاث سلطات هي: السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، توعز إليها مسئوليات التعريف والتحديد والتشريع للقواعد والأسس واللوائح التي تلعب دورها في إدارة الدولة ومرافقها العديدة، ومن بينها مسئولية ترسيخ الأمن الاجتماعي وتثبيت السلام الداخلي في المرافق المختلفة والإدارات المتعددة التي تشكل الهياكل الرئيسية لهذه المجتمعات، ومن المؤكد أن تلك القوى المعروفة بالاسم والهوية ليست وحدها القوى الفاعلة والحاسمة والمتحكمة في مصيرة المجتمع، بل هناك قوى أخرى لا ترتقي رسميا إلى مرتبة القوى التنفيذية والتشريعية والقضائية في هرم السلك الإداري للدولة، لكن لها نصيبها من التأثير على أفراد المجتمع، ولها واقعها الميداني الذي يشهد لها بقدرتها على استقطاب طاقات هائلة وتوجيه جماهير كبيرة، وإحداث تغيير جذري إبان القضايا والمشكلات المصيرية التي تهم الدولة.

في المجتمعات ذات الصبغة الدينية، هناك قوى أخرى لاعبة وحيوية في تحريك الأمور وتنشيط الحياة فيها غير القوى الثلاثة الآنفة الذكر، لها وجودها وتمثيلها البارز والجلي في كل المجالات والقطاعات المختلفة التي تمس من قريب أو بعيد أوجه الحياة فيها، من هذه القوى السلطات الدينية أو التنظيمات المتأسسة وفق رؤية دينية معينة، يبرز دور هذه السلطة في كل مناحي الحياة الواقعة في المجتمع، ويتحكم رواد وقياديو هذه السلطة في كثير من مفاصل المجتمع، ولهم قدرة على توجيه الرأي العام بصورة مباشرة أو غير مباشرة في كثير من مجتمعاتهم التي يتواجدون فيها، بل إن القيادات والزعامات التي تنتسب إلى هذه السلطة الروحية والدينية تتمتع بشعبية ومصداقية ميدانية كبيرة، لا تستطيع القيادات السياسية الكلاسيكية أن تتمتع بها أو أن تستفيد منها، رغم ما يبذلونه من صنوف الحيل والمكر لكسب تعاطف مؤيدين وأنصار من مريدي وتابعي هذه الجماعات الدينية.

ميزة السلطة الروحية تكمن في علاقتها الوطيدة الثنائية التي تجمعها بالأفراد والجماعات التي تفتخر بالإنتماء إليها، وكون هذه العلاقة عميقة ولائيا ووجدانيا وعاطفيا وذات جذور راسخة من القدم في مجال

الاعتقادات والأيدلوجيات الميتافيزيقية، والتي لا تخضع للمواصفات ولا للمعايير التي تحكم عالم الساسة مع جماهيره الذين يبدون له الولاء تارة، والبراءة تارة أخرى، بناء على وعود انتخابية محققة، أو طمعا في مكاسب سياسية منتظرة، طبيعة العلاقة القائمة بين القوى الروحية ومجتمعاتها توصف بالعمودية الرأسية، حيث أن الزعامة الدينية تتربع على رأس القائمة وتصدر الأوامر والتوجيهات، وعلى القاعدة المتمثلة في الجماهير والتابعين الانصياع والتنفيذ لتلك الأوامر تحت طائلة الوقوع في العصيان الديني المنهي عنه، أو السقوط في حفرة التمرد على أوامر تكاد تكون لها صفة الأمر الصادر من الرب، فخطابها نافذ ومؤثر، ومفعوله أسرع مقارنة بالخطابات الأخرى، أما العلاقة القائمة بين الساسة والرعية فبعكس العلاقة السابقة، فهي تشبه عملية البيع والشراء في العالم الحقيقي؛ أخذ وعطاء، أو «نصرتي لك» مقابل «أرباح مادية أجتنيها منك».

تستطيع السلطة الروحية بما تمثله من نفوذ وتأثير كبيرين على المجتمع، وبما تملكه من رصيد شعبي في أوساط العامة والخاصة؛ من تقدير واعتبار وكلمة مسموعة؛ على لعب دور فعال وتبني موقف عادل ومنصف تجاه كافة أطراف المجتمع؛ الشعب والحكومة وباقي القوى الفاعلة فيه، فهي تستمتع بالقيادة السلسة والمرنة والهادئة بالنسبة لأفراد كثيرين من رعايا المجتمع، في مقابل سلطة أو حكومة تلجأ أحيانا إلى أساليب عنيفة أو غير مرغوبة لفرض الطاعة والخضوع لأوامرها، وهي أيضا وسيطة مقبولة ومعترفة بها من قبل السلطات التنفيذية الحاكمة لتمرير الكثير من برامجها وسياساتها وأجنداتها، إن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي يسبب في كثير من الأحيان اندلاع أزمات وقلاقل واضطرابات بين السلطات الحاكمة من جهة، وبين الرعية التي عليها واجب الطاعة والانقياد من جهة ثانية، في مثل هذه الظروف الاستثنائية، يكون تدخل الطرف الوسيط لإيجاد حل للأزمة القائمة حاجة وطنية ملحة، وفريضة دينية محتمة عليهم القيام بها بوصفهم قيادة دينية يؤمل منها القيام بمساع جادة لإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية ولوضع حد للفوضى أو النزاع المشتعل بين أطراف من أبناء المجتمع.

إن وعي الزعامة الدينية بوظيفتها الجوهرية ودورها الحيوي الذي يمكن أن تقوم بها في المجتمع لإصلاح ذات البين بين فرقاء متعددين فاعلين فيه، أو للإدلاء برأي توافقي إبان أزمات واضطرابات سياسية، أو للمبادرة بتقديم مقترحات وتقديم حلول واقعية لمشاكل آنية أو عصية ذات صلة بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالبلد سينبئ ويؤشر إلى المدى ودرجة المسئولية التي توليها هذه الزعامة لموضوع السلم العام والاستقرار الاجتماعي لمجتمعها، كما سيؤكد حرصها وسهرها على تجنيب المجتمع وأفراده كل المخاطر والتبعات المنكرة للثورات والاحتراب الداخلي والخصومات بين أفراد المجتمع الواحد.

وفي المجتمعات التي لم يصل قادتها وزعماءها -حتى الآن- إلى تحقيق هذه الحالة المرجوة من السلم العام والاستقرار الاجتماعي - وبلادنا تصنف ضمن هذه الخانة- حيث الطبقة السياسية فيها لا تزال تتناوش بينها وتتقاتل على المناصب والمكاسب المادية على حساب المواطن العادي، وحيث لا تزال الأزمات الاقتصادية الخانقة سببا في ظهور العديد من المشاكل المتولدة من الفقر المدقع؛من قبيل الهجرة غير الشرعية نحو البلدان الأوروبية، والنزوح من الأرياف نحو المدن الكبيرة، وتكون طبقة من الأثرياء الناهبين لثروات البلد وخيراتها، وحيث تنتشر الأمراض الاجتماعية الأخرى كالإباحية واللصوصية والاعتداءات المتكررة على الممتلكات والأشخاص، فإن نفوذ الزعامات الدينية المعتبرة قادر على الإسهام بشكل كبير وفعال في إيجاد مخرج من هذه الوضعية، وفي نشر خطاب تهدئة بين شركاء الساحة السياسية، لإعادة السلم والتوافق إلى للبلد، والعمل على وضع الخطوات الأولى لتحقيق هذه الأمنية الغالية: السلم العام والاستقرار الاجتماعي للجميع.

سمب أم جو

الهجرة غير الشّرعيّة:

طلب لسعادة أم بحث عن تعاسة؟

إن حبّ السعادة فطرة بشرية، جُبل عليها الانسانُ، منذ أن كان في بطن أمه جَنينا، إلى أن صار في المهد صبيا، ولا ينفك عنه حتى لو بلغ من الكبر عتيا، فهي (السعادة) الشغل الشاغل للجميع.

ولئن اختلف الناس في تفسيرهم لمفهوم السعادة، أو تباينت وسائلهم في سبيل تحقيقها، فلم يختلفوا عن الهدف الذي من أجله يعملون؛ فالتّاجر- وهو يغدو إلى متجره - همه كله أن يحقق السعادة لنفسه ولعياله. والعامل الذي يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله، أو المزارع الذي يزرع ارضه فتبت زيتونا ونخلا، وحدائق غلبا، هدفهما الأساسي أن يضمنا لأنفسها ولذويهما السعادة. والعابد الزاهد عن الدنيا، المنعزل عن الناس، إنما يسعى لنيل السعادة الأبدية.

فالاختلاف إذا، ليس في الهدف، وإنما هو في مظنة السعادة لدى كل منهم، وفي الوسائل المتخذة لنيلها، [إن سعيكم لشتى] فالذي يرى أن مكمن السعادة في مرضاة الله تعالى، وفي تحقيق العبودية له، لا يألو جهدا في القيام بكل ما من شأنه إرضاء الخالق، فيسبح بحمد ربه بكرة وأصيلا، ولا يفتر عن ذكر مولاه آناء الليل وأطراف النهار، ثم إنه - بعد التسبب والكسب - يرضى بما قسم الله له، ولا يقول: أهانني ربي إذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه، فمرضاة الله بالنسبة له هي السعادة، وأيما سعادة.

والذي يؤمن أن السعادة رهينة بتوفر مقومات الحياة لدى الفرد - من أمن، وطعام، ومسكن يأويه، وملبس من البرد والحر يقيه - قد يكتفي بالمشي في مناكب الأرض ليأكل من رزق الله، ثم لا يلهيه ماله عن ذكر الله وعن الصلاة [من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا]

وأما الذي يتوهّم أن لا سبيل إلى السعادة إلا بالحصول على الماديات، من القصور العالية، والسيارات الفاخرة، والاستمتاع بذوات الجمال، فلا يهدأ له بال، ولا تقر له عين، إلا إذا وجد في حوزته مالا يحقق له ذلك، ولوكان على حساب نفسه ودينه وعرضه، وربما استبطأ رزقه، أو تقالّ نصيبه، إذا رأى أن أحدا من خلانه أو إخوانه - ممن في أيام الصبا لعبوا مع بعض، أو درسوا جنبا إلى جنبا - قد أكرمه ربه ونعمه. فيضيق ذرعا بما آتاه الله لهذا الأخ، فتُسوِّل له نفسه الحسد ويأكل حسناته كما تأكل النار الحطب، أو ربما جرّته الغبطة إلى سفينة ذات ألواح ودسر، تجري بها الرياح بما لا تشتهي، فيغرق في أعماق البحار التي لا ترحم، أو تلتقمه الحوت وهو مليم.

ولعل ما نشاهده الان من موجات الهجرة لدى الشباب، وهم يركبون البحار أو يسلكون القفار، إنما ذلك كله من أجل البحث عن هذه السعادة المفقودة لديهم، فليت شعري أهم من الصنف الأول أم من الصنف الاخر؟ أهم ممن اضطهدوا في بلادهم، واستُغلت ثرواتهم، وسُدّت طرق النجاح أمامهم، وقُيِّدت حرياتهم، فيكون ذلك مبررا لهذه المغامرة، فيكون سعيهم طلبا للسعادة، لست أدري!

أم هم ممن طمحوا في ثروة طائلة، وطمعوا فيما حصله غيرهم، فتركوا أشغالهم، وباعوا دكاكينهم ومنازلهم، ودفعوا الملايين وراهنوا بأنفسهم بالولوج في البحار فيكونوا ممن يبحثون عن تعاستهم، وينطبق عليهم المثل: [من أوتي نعمة ولم يشكر خرج منها من حيث لا يشعر] ، أفتوني في أمري!

الباحث: عبد العزيز كولي

تواوون 21/11/2023

وقفات في الشعر العربي للخليفة العام الشيخ محمد المنصور سه الثاني" بروم داري (1925/2012م) رضي اللّه عنه. زاوية تواون السنغال

أولا: **شعر المديح**

المدح فنّ أصيل في الشعر العربي، عرف شأنه قديما وقد اتبع الشعراء المتأخرون نهج وطريق القدماء في الأمداح، وفي المقابل فقد سلك الممدوحون مسلك من سبقهم حيث يغدقون الماديحين بالعطايا الجزيلة، والهبات النفيسة، والمنح الجسيمة. وقد تطور شعر المديح في العصر الحديث إلى منزلة رفيعة، والشعراء فيه يصوّبون، اهتمامهم في المقام الأول بالتعبير عن المعاني السامية والقيم النبيلة، والغايات الهادفة، التي يلتقي فيها الجميع كالنزعة والمبادئ الدينية والقيم الوطنية، وبالتالي العناية بالصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة «ككرم النفس، وسماحة الخلق، والعفة، والتجارب الثرية، والدهاء، والبطولية، والا تصاف بالشخصية القيادية الخبيرة، وما إلى ذلك مما يتواءم ويتناسب ذوق العصر، ويرتاح له الممدوح بالا.

وعند ما نلقي الضوء لمحاولة الكشف وإزالة اللثام عن شعر المديح لشاعرنا العلامة، الشيخ المربي، السيد محمد المنصور سه الثاني الخليفة العام للطريقة التجانية (١٩٩٧ــ٢٠١٢م) نلاحظ بأن الشيخ محمد المنصور سه الثاني تطرق غرض شعر المديح وبرع فيه براعة فنية متميزة، فمدحه رضي الله عنه يوجهه ويخصه في المقام الأول لسيد الوجود وعلم الشهود، ويتجلى ذلك عند البحث عنه من خلال طائفة من قصائده، وأبرزها عند التصنيف والنظر إلى الأهمية منها فقصيدته التائية، للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ولنصرته، وسار في ذلك تماما على سنن الشعراء في صدر الإسلام، يقومون بالدفاع وبالذب عن النبي وحمايته بسلاح القلم لأن سلاح الشعر أشد وقعا وأبقى أثرا من وقع السنان؛ فكتب الشيخ هذه القصيدة للردّ على من تجرأ برسم صورة النبي صلى الله عليه وسلم، والقصيدة تبلغ ٣٢بيتا من بحر الطويل، وتعتبر واحدة من أحسن وأروع ما نظم وقيل في السنغال، بل وحتى في خرجها. وقد قام الشيخ عبد العزيز بمناسبة إلقاء القصيدة أمام الحضور من الجماهير والضيوف بمناسبة يومية الزيارة السنوية، التي أهل «دائرة المنتدبين لتعليم علوم الدين،» مبديا أثناء خطابه فيها سمو معاني القصيدة، وأنها من أروع ما كتب لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا انطلاقا وبناء على أعمال البحوث العليمة التي قام بها علماء المسلمين في العالم عموما، وفي البلدان الإسلامية بوجه خاص. ونقتطف منها هذه الأبيات الآتية:

فتبّت يداكم أيها العصبة التي

تسيئ برسم البدر سرّ البرية

تجرأتُم أنتمْ عليه برسمه

أيرسم نور لا يطاق بنظرة

هو الجوهر المكنون والسبب الذي
فلولاه ما كان الوجود بخلقة
وأرواح كلا المهتدين به غدت
من السقي أنوارا لكشف الجنّة
من الأنبيا والمرسلين وغيره
من المؤمنين روحه أصل نشأة
فمن لم ينل من سقيه بات ملحدا
وعاش شقيا كافرا كلّ دعوة
فهذا رسول الله والسند الذي
شفاعته ترجى غدا يوم رهبة
فهذا رسول الله والسّلم الذي
به يرتقي الأبرار سيرا لحضرة
فهذا رسول للبريّة كلهم
سعادتهم وفوزهم عين رحمة
فهذا رسول الله والأكمل الذي
فما رمقت عين شبيها لروعة
فهذا رسول الله والمنبع الذي
فيوضاته تجري إلى يوم نفحة
فهذا رسول لن تر العين مثله

من الخلق والخلق فأكبر آية
ندافع كلما قام معتد
فأحمد حقّ عزنا أي عزة
كما أننا نأبى الإساءة نحوه
لنرفضها قطعا تجاه الأئمة
رويدكم هذا الامام ملاذنا
وقدوتنا في ديننا أي أسوة
على مهلكم إنا اعتصمنا بحبله
بملته الإسلام نحيا كأمة

إلى أن قال:

صلاة وتسليم على خير من دعا
جميع الورى للدين جبرا لكسرة
مع الآل والاصحاب ما قلت منشدا
تسيىء برسم البدر سرّ البرية

وبالإضافة إلى جانب ذلك فقد خصص الشيخ محمد المنصور سه لطائفة مهمة من مشايخ البلاد السنغالية، من أصحاب الزعامات الدينية الصوفية في الطريقة التجانية، وفي طليعة هؤلاء شخصية والده، ومحبوبه وشيخنا الشاعر فخور ومعتز به ومتعلق بجنابه غاية التعلق، ولازم بعتبة بابه فلا يفارقه، فالقصيدة

من بحر البسيط، والقافية هائية يمتدح بها الشيخ محمد المنصور شيخه ووالده الشيخ أبا بكر سه الخليفة ابن الحاج مالك سه رضي الله عنهم أجمعين، ويعدد فيها مناقب شيخه العارف بالله، منوها بمساعيها لحميدة، الجليلة كالإرشاد والهداية بالناس، وأنه رضي الله عنه بقضي جلّ أوقاته ساهرا لمواساة الأنام، ويربيهم ويعلمهم حرصا منه على أن يفوزوا بالرضوان والفلاح في الدارين، وشيخنا الشاعر يرغبنا من خلال القصيدة في زيارة الشيخ الخليفة أبي بكر سه، باعتباره كنز الهداية، ومحط الإجابة، الذي يفد الناس إليه على متن المراكب وعلى المشي بالأقدام جماعات ووحدانا متزاحمين إلى ساحة مغناه، أملا في لقيا عطاءاته الربانية الجسيمة، لأنه هو كهف السماحة، وعذب المناهل، وحلو الشمائل، فقال رضي الله عنه :

زَوْرُ الخَلِيفَةِ وَالإِلَهِ أَعْلاَهُ

يُغْنِي المُرِيدَ كَمَا يَرْضَى وَيَهْوَاهُ

من زاره قدر حلب الشاة من زمن

يفز به ما نوى من سيب نعماه

من زاره بسليم القلب نال منى

فاسأل به كلّ من تراه يغشاه

أعني الخليفة نجل القطب مالكنا

من قد هدى الناس للاله ملجاه

كهف السماحة بل كنز الهداية بل

عون البرية من مرضات مولاه

بشرى للكم خير قوم نلتم وزرا

يهدي المريد إلى جنّات مأواه

إلى أن قال في خاتمة القصيدة :

على النبي أفصح الآنام قاطبة

وآله صحبه طرّا سلاماه

ما قال منصور في الانشاء مرتجلا

زور الخليفة والاله أعلاه

يبدو أن الشيخ محمد المنصور اطلع بقصيدة هائية مقطوعة الضرب لوالده الشيخ أبي بكر الخليفة فتأثر بها أي تأثر ونسج قصيدته على منواله، ولم يحد عنها وزنا وقافية، نظمها والده ممتدحا الشيخ أحمد التجاني الشريف، ومطلعها:

الحمد لله هذا الشيخ ربّاه

خير الوجود الذي أعلاه مولاه

ومن عادة الشيخ محمد المنصور أنه يوجّه ويخص أمداحه لأهل الصلاح والعلم من الشيوخ، فلا نراه في هذا الباب من شعر

المديح، يرفع ريش قلمه لكي يمدح أحدا من الناس، جريا وراء مطامع ما، ولكن ينظم شعر المديح للتنويه على تمجيد مواقف لشخصية أو لأشخاص من قد تربطه بهم صلات القرابة الدينية، أو القيم الو طينية أو القرابة الثقافية، من أهل الفضل والصلاح، أو من فاعلي الخير لعزّ الإسلام والمسلمين. ومن نماذج شعره في هذا الخصوص، قصيدة مديحه لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، ملك المملكة المغربية الشريفة، لاشتغاله واهتمامه الدائم بأمر الا والمسلمين، ويعد ملكا من بين أبرز المحسنين في سبيل الله بدليل تقديم أياديه البيضاء، ومؤازرته لدينه الحنيف، واشتغاله برفع الراية لسنة نبيه الأكرم، وتكريم العلماء والمشايخ الصوفية، ومن نماذج ذلك إهداؤه للشيخ محمد المنصور سه الثاني «بروم داري « مجموعة تذاكر للحجّ يبلغ عددها إحدى عشرة تذكرة، فبعث الشيخ إلى جلالة الملك محد السادس ـ للإشادة والتنويه بفعله الجميل ـ رسالة شكر له، ودعاء له بالخير والتوفيق في تحمل مهامه، يختتم الشيح كلمته بقصيدة شعر يمدح فيها جلالته، على عمله الكريم ،بحيث يسهل ويتيح جلالته لبعض المكلفين من المسلمين في السنغال فرصة أداء فريضة الحج خامس أركان الإسلام، فقال قصيدته بعنوان: **الوفاء في ذكر مناقب صاحب الصفاء**، في واحد وثلاثين بيتا(٣١)، ومطلعها:

فجزى الأمير لنا إلهُ الناس
أعني الشريف محمد المِكناسي
بل مغربيّ الملك قاد بلاده
لبناء مجد الدين فوق أساس
أهدى لنا أغلى الهدية قاصدا
وجه الاله الخالق الأجناس
سخِيَتْ يداه تكرُّما وتحسُّبا
من فضله كالغيث بعد اليأس
فدعا الأحبّة للحجاز لحجّة
وزيارة روض النبِي الإلياسي
برُّ الأمير وبحره قد موّجا
فجميعنا غرقى بربّ الناس
إن الطريقةَ شرِّفتْ بقُدومكمْ
ملكا كوالده رفيع الرأس
إني وقومي والأحبة جملة
نبدي التّشكّر والدّعا للآسي
أعني الكريم ابن الكريم محمدا
السادس في المغرب الألماسي
ورعى الاله لشخصه ولشعبه
من فيضه المدرار أعذب كاس
صن ربنا هذا الأمير وشعبه
ولأهله من مفسد جسّاس
واستره سِتْرك باركن أعماله
ولشعبه في وحدة الأنفاس
بل لا يرى إلاّ التقدّم والرقى
نحو العلا والعزِّ بالعبّاس
أعني التجاني شيخنا وبجاه من
هو جدّه المسرى بدون نعاس
وبجاه شمس الدين جدّي مالكٍ
مبدي المعالم فترةَ الانْدراس

ويلاحظ في هذه القصيدة أنهاَ تحولت وانتقلت من غرض المدح إلى غرض التوسل إلى الله تعالى بدعاء الخير للملك، وهذا يدل على أن الرجال المتصوفة يعطون الأولوية في كل شيء اللجوء إلى الله لأنه هو القادر والقدير على تحصيل كل شيء، والصفات التي يضفيها الشاعر الشيخ محمد المنصور يراعي فيها مولاه لأنه تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب».

بقلم عبد العزيز سار،

باحثا للشيخ محمد المنصور، بمدينة تواون السنغال

مقومات الاستقرار الاجتماعي
تأصيل في تراث الحضرة المالكيّة

****

مقومات الاستقرار الاجتماعي، تأصيل في في تراث الحضرة المالكية

الإنسان بطبيعته كائن مجبول على حب السلام والعيش في سياج الأمن والاستقرار والاطمئنان، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فمن المعقول أن يعيش المرء في عالم السلم والاستقرار والأمن طيلة حياته ولا يزعجه ذلك أبدا، بل يزيده رفاهية وهناءة وتمتعا بحياته، لكن العكس غير معقول منطقيا، فلا يمكن للمرء أن يعيش في فتنة دون أن تزعجه وتقض مضاجعه ولو في لحظات قليلة من حياته، وهذا يعني أن الاستقرار صفة طبيعية في الإنسان وحاجة فطرية، فأي عارض لاح لتعديل هذه الطبيعة يؤدي إلى تدهور في حالته، وقد يدفعه ذلك التدهور إلى تهور في تصرفاته ومعاملاته.

ولله المثل الأعلى حيث يصور لنا طبيعة الإنسان، الذي هو خالقه وباريه، وهو أدرى منا من نفسه، يقول ـ جل وعلا ـ: { وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار}[1]

فالآية تثبت وتؤكد أن الاستقرار والطمأنينة شيء جبليٌّ في الإنسان؛ إذ الإنسان لحظة شعوره بغياب هذه النعمة الإلهية يصبح قلِقا هلوعا، وفي مثل هذه الحالات لا يستطيع إنجاز شيء ذا قيمة تذكر، لأن الإنجاز نتاج عمل فكري، والفكر وثيق صلة بالحالة النفسية، أضف إلى ذلك أن الفتنة لا تصافح مجتمعا إلا خرَّبهُ، ومن ثم يصبح اقتصاد المجتمع يرزح بين مطرقة وسندان.

فمن هنا تتجلى أهمية هذا الموضوع **(مقومات الاستقرار الاجتماعي؛ تأصيل في تراث الحضرة المالكية)** وتتكشف ضرورة معالجته؛ لما له من أثر فعال في دفع عجلة التقدم والازدهار للبلد؛ لأن الاستقرار الاجتماعي وليد أمن اجتماعي و«الأمن هو الأساس والمنطلق للتنمية والتطور، وهو السلاح الفاعل في مواجهة الخوف، وهو الصيانة والوقاية لمنجزات الحاضر والمستقبل»[2] بل هو البوابة الأساسية للانفتاح أمام دول أخرى لتحقيق تعاون متبادل يرجع بالنفع العام إلى البلد: وقد أثبت ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:{ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة **يأتيها رزقها رغدا من كل مكان** فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} اتضح من الآية أن بالأمن الاجتماعي ينمو اقتصاد المجتمع.

«أما إذا نعدم الأمن فإن ذلك يؤدي إلى القلق والخوف ويحول دون الاستقرار والبناء، ويدعو إلى الهجرة والتشرد، وتوقف أسباب الرزق مما يقود إلى انهيار المجتمعات ومقومات وجودها، فنعمة الأمن والاستقرار في الأوطان، من أجلّ النعم التي أنعم الله — تعالى- بها على الإنسَان بعد نعمة الإسلام»[3]

ولما كان الاستقرار الاجتماعي حاجة فطرية وضرورة حياتية للحفاظ على الوجود الإنساني وخلق جو يملؤه الرفاهية والطمأنية والتغلب على الأمراض والجهل والفقر المدقع... جاءت مقاصد الشريعة (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل «العرض» والمال) خادمة له في جميع أبعاده، وأصبح الحفاظ عليها وصيانتها لحساسيتها ضرورة دينية وإنسانية، في جميع طبقات المجتمع.

هذا، وقد بذلت الحضرة المالكية جهودا ملحوظة في ترسيخ الاستقرار الاجتماعي وربط أوتاده. ولعلنا سنقف معك أيها القارئ — في هذه الورقة المختصرة — على بعض

١ سورة الزمر/ آية ٨

2 عبد الستار الهيتي، مسؤولية الأفراد والأجهزة الحكومية في تحقيق الأمن الاجتماعي. ص7

3 الاستقرار المجتمعي: مفهومه، مقوماته، سبل تحقيقه في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية. العدد36، السنة: 2020م. ص133

مقومات الأمن والاستقرار الاجتماعيين على ضوء تعاليم وتوجيهات الحضرة المالكية.

ينبغي أن نعرف بأن حلول وبقاء الاستقرار في المجتمع يتطلب مقومات عدة يتأزز بها، ويقوم على أساسها، وعندما نستقصي تراث الحضرة المالكية نلفيه زاخرا بتالك المقومات، وفيما يلي سنحاول إجمال بعض منها:

● الشعور بضرورة الأمن والاستقرار الاجتماعيين.

إن الاهتمام بشيء فرع شعور بأهميته وضرورته، فعلماء ودعاة الحضرة المالكية من الشخصيات الذين أدركوا ضرورة الأمن وأهميته في البلاد، فها هو الشيخ الحاج مالك سي نجده يعتز بجهود شيخه الشيخ عمر الفوتي في إحلال الأمن على أراضي السنغال ومحاربته الجور والظلم ومناهضته الخوف والزعر من حدودها. يقول:

فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ـ يَا لَلَّهِ ـ مُخْضَرَةً

يَعُمُّهَا الْأَمْنُ وَالْإِسْلَامُ وَالرَّغَدُ

أَكْرِمْ بِمَنْ سَاقَ أَهْلَ (فُوتَ) جُلَّهُمُ

فَجَاهَدُوا كُلَّ آبِي الدِّينِ وَاجْتَهَدُوا

يَا حَبَّذَا ابْنُ سَعِيدٍ سَيِّدِي عُمَرُ

يَا حَبَّذَا حَبَّذَا يَا حَبَّذَا الْوَلَدُ

وكثيرا ما يرفع أكف الضراعة إلى الله داعيا للبلاد السلام والأمن، يقول في خطبة العيدين: **«اللَّهُمَّ فَرِّجْ هُمُومَ الْمُؤْمِنِينَ...وَاجْعَلْ هَذِهِ الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، ...، وَاجْعَلِ الْبَلَدَ دَارَ عَدْلٍ وَإِسْلَامٍ... وَأَنْ تُفَرِّجَ عَنَّا مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَأَمِّنْ رَوْعَاتِنَا»**[4]

● التربية الروحية:

لا يتصور استقرار ونفس المرء مغمورة بضباب الأخلاق اللاإنسانية، بل تحتاج إلى أنسنتها وتطبيعها بطابع إنساني خليق بحمل المسؤولية وحمايتها، وذلك يتم بتربيتها وتزكيتها؛ لأن « عمر الإنسان يمضي وهو في صراع دائم بين الخير والشر في عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، لأن كليهما يريد أن يتحكم في الإنسان...ويجب في تلك الحال أن يؤخذ العقل تحت نظام معين. هذا النظام هو تربية الوحي وإرشاد الأنبياء ، فالعقل تحت رقابة الوحي يحمل الإنسان إلى السلامة. ولكن العقل لو حرم من إرشاد الوحي لكان سببا في سوء العواقب للإنسان»[5] فحوى الكلام هو أن الأمن الروحي والاطمئنان النفسي من أهم المؤشرات في تحقيق الاستقرار، والعامل في ذلك هو التربية الروحية النزيهة،

4 خطبة العيدين للشيخ الحاج مالك سي

5 عثمان نوري طوبّاش، الشخصية المثالية الفريدة، محمد رسول الله –ص– ط:2، مط: دار الأرقم، ص213ـ214

التي تنزع نزغات الأنانية من نفس الإنسان، وتجعله يعرف حق ربه وقدره، معترفا بقدرته ومشيئته —جل وعلا—.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن هذا كان الدور الأساسي لعلماء الإسلام عامة، وأخص بالذكر علماء الحضرة المالكية التي أدت للإسلام وللإنسانية في هذا المجال خدمة لا تنسى، وعلى رأسها الشيخ الحاج مالك سي، وفي بعض قصائد الشيخ محمد المنصور سي مالك إشارة إلى ذلك الدور، يقول:

رُضْتَ النُّفُوسَ لِدِينِ اللهِ تَرْبِيَةً
إِبْلِيسُ مَا ابْتَسَمَتْ مِنْهُ المَكَايِيدُ

وقال في توصياته:

وَخَالِفِ النَّفْسَ مَهْمَا تَشْتَهِي فَلَكَمْ
تَحْوِي بِهِ الحَظَّ غُضَّ الطَّرْفَ جَلَّادَا[6]

- **3- الأمن الفكري:**

التنمية الفكرية والتربية الثقافية ضرورة ملحة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي، لأن الإناء —كما يقال— بما فيه ينضح، والجيل المشحون عقله بمعارف خاطئة ومفاهيم متطرفة، لا شك أنه سينقلب نقطة سوداء وداء عضالا في مجتمعه بتصرفات بالغة الغاية في البشاعة والتطرف والاعتداء؛ لهذا يتحتم انتقاء المحتويات المدروسة وغربلتها من كل شائبة، لا علاقة لها بالدين السمح، لحماية عقول الناشئة من الأفكار المنحرفة المتلوثة بالمعتقدات والمفاهيم الخاطئة لتعاليم الدين، والتي قد تؤدي بهم إلى سوء تفاهم بينهم وعراك فكري يزعزع في النهاية استقرار البلد.

لهذا، كان الشيخ الحاج مالك يناشد علماء الإسلام المتبوعين بقوله:

أَلاَ نَبِّهُوا الْأَتْبَاعَ كَيْلاَ تُؤَاخَذُوا
بِمَا أَحْدَثُوا فِي الدِّينِ دُونَ سَوَاءِ
عَلَى كُلِّ مَتْبُوعٍ دَلاَلَةُ تَابِعٍ
لِمَا هُوَ أَجْدَى لاَ لِجَلْبِ عَطَاءِ
وَتَعْلِيمُهُمْ فَرْضٌ وَلَوْ بِإِجَارَةٍ
وَإِلاَّ عَلَيْكَ الْإِثْمُ يَوْمَ لِقَاءِ

ويقول الشيخ محمد المنصور سي «بروم داري»:

أناشد إخواني من الدين جملة على فهم
وعي الدين فقها كسيرة[7]

- **الدعوة إلى السلام:**

من أحب شيئا دعا إليه وتزي بزيّه، ومعلوم أن الحضرة المالكية فئة مولعة بحب السلام والدعوة إليه، وترسيخ أوتاده في المجتمع، يقول الشيخ الحاج مالك سي في خطبته المشهورة التي مازالت تقرع الآذان وتأسر الأفهام والقلوب بعبرها وزواجرها، تحتفظ: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَالتَّخَالُفَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ وَالتَّآلُفَ، وَالتَّخَالُفُ مَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ إِلاَّ بِهِ، وَبِهِ يَعَضُّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ ...**»

فهذه دعوة مباشرة للمجتمع إلى إعادة مياه السلام إلى مجراها، ويقول فيها — أيضا— واصفا حالة المجتمع ومفهوم السلام عند أهله: «**...وَسُبُلُ الْعَافِيَةِ الْيَوْمَ لاَ تُسْلَكُ إِلاَّ بِالْمَقَالِ، وَلاَ يَزَالُ يُكَذِّبُنَا لَسَانُ الْحَالِ، فَمَا لَنَا إِلاَّ عُيُونٌ نَاظِرَةٌ لاَ تُبْصِرُ، وَقُلُوبٌ قَاسِيَةٌ لاَ تُفَكِّرُ، فَمَا أَشَدَّ صَمَمَ الْآذَانِ؛ لأَنَّ الرَّهَائِنَ قَدْ غَلِقَتْ عِنْدَ الشَّيْطَانِ، فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا**»

- **التربية على أخلاقيات التعايش السلمي**

تبنت الحضرة المالكية— منذ نشأتها—

٦ سي الحاج منصور (مالك)، ديوانه، ص٦٩

7 من قصيدة فتبت يداكم للشيخ محمد المنصور سي _بروم داري_

منهج تربية أتباعها على تحري الصبر والتغاضي عن كل مقولة تقوّد قارورة السلام وتزلزل عماد الاستقرار، يقول الشيخ الحاج مالك سي في إحدى توجيهاته الأتباع: «**وَلا تُبَالُوا بِمَنْ يَقُولُ فِيكُمْ شَيْئًا غَيْرَ لائِقٍ، وَفِي طَرِيقِكُمْ، وَفِي أَشْيَاخِكُمْ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكِيلا عَلَى خُصُومَتِه فَلا يَتَحَرَّكْ بِشَيْءٍ، بَلْ يَدُومُ عَلَى مَا يَعْنِيهِ وَمُحَارَبَة نَفْسِهِ... وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ فَكِلُوا أَمْرَهُ إِلَى اللَّه، يَكْفِكُمْ شَرَّهُ** »

ويقول: وَأُوصِيكُمْ بَعْدَ نَفْسِي بِتَقْوَى اللَّه الْعَظِيم...وَعَدَمِ التَّحَرُّكِ وَالْكَلَامِ فِي شَيْءٍ غَيْرَ إِحْيَاءِ الْمَسَاجِد، وَالأَرْضِ، وَالتَّعَلُّم، وَالتَّعْلِيم، وَمُعَامَلَة جَمِيعِ النَّاسِ بِحُسْنِ الأدَبِ، مُلُوكِهِمْ، وَرَعِيَّتِهِمْ»

هذه وغيرها من التوجيهات التي لها مفعولها في ترسيخ سلام المجتمع السنغالي برمته.

- **تبادل الاحترام**

يقال: تنتهي حرية الفرد حيث تبدأ حرية الآخرين، وهذا مبدأ أساسي في ترسيخ الأمن الاجتماعي، إذ تعتبر مراعاة آراء ومعتقدات الآخرين، واحترامها من أهم مقومات الاستقرار في المجتمع، خاصة في المجتمعات المتعددة التوجهات الفكرية والعقدية، فالمجتمعات التي لا تحترم فيها حرية الآخرين، دائما ترضخ تحت ضغوط فتن لا انتهاء لها؛ حيث يصبح يحكمها نظام الغابة؛ يأكل القوي الضعيف، لهذا كان الشيخ محمد المنصور سي بروم داري يناشد السلطات الدولية في خطاباته إلى سن قوانين تضمن أمن جميع المجتمعات تحت مظلة الاحترام المتبادل، يقول: «وأقترح على الأسرة الدولية جمعاء إيجاد وفاق دولي يكفل ويضمن لكافة الأديان بالتمتع بحرية ممارسة العقائد والشعائر والعبادات، وسن قانون دولي يقضي ويلزم الجميع بالاحترام والصيانة للثوابت، أي؛ الأديان، وينهى عن الانتهاك والمساس بالمقدسات والعقائد حتى يتسنى للعالم أن يعيش في جو يسوده الأمن والسلم والاستقرار والاحترام المتبادل»[8]

هذا، ولا أختتم كلامي دون سرد جزئية من إرشادات المصلح الاجتماعي الكبير، المشهور عند القاصي والداني الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ، الذي ما زال صوته مسموعا، ومواقفه مضرب مثل في الإصلاح الاجتماعي، فهو على الرغم من انتقال روحه إلى جوار ربه فإنه الغائب الأشد ظهورا من الحاضر، لنصغ إلى هذا الخطاب التوجيهي اللطيف الزاخر بمعاني الإصلاح الهادف إلى كبح جماح الوشاة الراغبين في شن غارات الضغن والعداوة بين الطرق الصوفية في السنغال، يقول:

طُوبَاكْ تِوَاوُنْ جَسِينَكْ جَامَلَكْ جَنَبَ
كَذَاكَ لاَيِينْ وَجَاسَانْ كُمْجِ رِكْ تِرَلَلْ
كَذَاكَ —صَاحِ ـ مَعَ الْبَاقِينَ أَجْمَعِهِمْ
يَوْ فُوفِكَسْ كِنْ ججُومْ فُككَلْ تِبُلْ دُيَدَلْ
جَبَّلْ جِ لِي مَلَوَخْ يَوْسَا خَرتْ بَجَبَهْ
يَوْسُو دِفِي لِيمَوَخْ خَرتْ مُنَاكَ تَنَلْ
نَجْ هَنْدَ فُكَّ رِجَالَ اللهِ أَجْمَعَهُمْ
هَنْدَكْ دحُرْمَالْ لِوَجْهِ اللهِ أَكْدِ رِيَلْ
بُلِينْ دِكَمْكَمْلَ أَكَّ تِقَلِّ انِدَخْ رَفُتُلْ
بَيْنَ الْمَشَايِخ لُولِي بَبِّلِينْكَ كَنُلْ[9]

هذا، ولعلنا نكبح زمام القلم هنا، خوفا من الإطالة، علما بأن هذا الموضوع موضوع واسع فضفاض؛ فلا يمكن هضمه في مقالة محدودة الصفحات كهذه؛ لذلك اكتفينا بالتلميح إلى الجهود التي قدمتها الحضرة المالكية في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي، من أجل توجيه سفينة المجتمع السنغالي إلى سواحل السلام، والأمان، ولعل القدر سيواتينا بفرصة أخرى نستغلها لتكملة المقومات الباقية.

الباحث: شيخ أحمد التجاني ساخو

---

٨ الشيخ محمد المنصور سي «بروم دارج»، الشؤمة على هامة البومة»، تاريخ الإصدار:٤/مارس/ ٢٠٠٦م

٩ الحاج عبد العزيز الدباغ، ديوانه، ط١، مط: بني ازناسن. سنة ٢٠٠٢م. ج١. ص٥٠٢

أَيَا طَالِبًا مَأْوَى الْوُصُولِ لِرَبِّنَا

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمد آله وأصحابه الكرام وسلّم تسليما.
وبعد؛ فهذه قصيدة دالية من بحر الطويل جادت بها قريحة عبيد حقير ضعيف الحاج مود مالك صو تبرّكا إلى شيخه ووسيلته العالم العلّامة والقطب الواصل والملاذ الكامل الشيخ محمّد المنصور سه (بروم دارج) رضي الله عنه. وقلت:

دَعِ الْقَوْلَ فِي ذِكْرِ الْغَزَالِ وَعَنْ دَدِ ... لِشَيْخٍ عَدِيمِ الْمِثْلِ فِي الْحِينِ مِقْوَدِ
مَلَاذِي وَقُطْبِي قُدْوَتِي وَوَسِيلَتِي ... فَفَاقَ الْبَرَايَا بِالْعُلُومِ كَفَرْقَدِ
نَشِيطٌ لِإِنْقَاذِ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى ... هُوَ الْمَلْجَأُ الْمَنِيعُ مِنْ هَوْلِ مُكْمِدِ
فَسَادَ الْوَرَى بِالْحِلْمِ وَالْجُودِ كُلَّهُمْ ... وَعِلْمٍ وَآدَابٍ وَلِينٍ لِوُرَّدِ
فَيَا قَاصِدًا نَحْوَ الْهُدَى وَالتُّقَى فَخُذْ ... نَصِيحَةَ حِبٍّ نَحْوَ خَيْرِ مَقْصَدِ
وَيَا رَائِمًا نَيْلَ الْفَضَائِلِ وَالْمُنَى ... فَيَمِّمْ ذَرَى شَيْخِي تَوَاوُونَ – تُرْفَدِ
مَتَى مَا طَلَبْتُمْ نَيْلَ ظُفْرٍ فَبَادِرُوا ... إِلَى بَابِهِ نِلْتُمْ مَفَازًا إِلَى الْغَدِ
هُوَ الْحِصْنُ مَنْ يَأْوِي بِهِ لَا يَخَافُ مِنْ ... بُرُوقٍ وَظُلْمٍ مِنْ عَدُوٍّ يَلَنْدَدِ
فَكَمْ آبَ شَخْصٌ فِي سُرُورٍ وَبَهْجَةٍ ... لَمَا[1] كَانَ فِي حُزْنٍ بِخَيْرٍ مُزَوَّدِ
نَجَا كُلُّ مَرْءٍ لَائِذٍ ظَهْرَهُ بِهِ ... بِنَيْلِ الْمُنَى كُلُّ الْمَكَارِمِ مُرْتَدِ
أَيَا طَالِبًا مَأْوَى الْوُصُولِ لِرَبِّنَا ... فَهَرْوِلْ إِلَى شَيْخٍ مَلَاذٍ وَمُرْشِدِ
فَطُوبَى لِمَنْ هَذَا الصَّمِيمُ قِيَادُهُ ... هُوَ الْقُطْبُ مَلْجَانَا إِلَى الْحَقِّ مُنْجِدِ
فَلَا كَاتِبٌ يَحْصِي بِمَا حَازَ رُتْبَةً ... وَلَا شَاعِرٌ فِي ذِكْرِهِ بَعْدَ مُنْشِدِ
فَيَا شَيْخَنَا هَا نَحْنُ جِئْنَا بِبَابِكُمْ ... وَلِمْ لَا وَأَنْتُمْ وَارِثُ الْقُطْبِ أَحْمَدِ
وَلَا نَبْتَغِي لَا نَلْتَفِي غَيْرَ بَابِكُمْ ... تَرَى الشَّيْخَ عَنْ كُلِّ الْعُيُوبِ مُجَرَّدِ
لَنَا الْحَظُّ إِذْ كُنْتُمْ بِنَا مُرْشِدًا أَبًا ... حَلِيمًا صَبُورًا حَاوِيًا كُلَّ سُؤْدَدِ
وَفُقْتُمْ جَمِيعَ النَّاسِ عِلْمًا وَحِكْمَةً ... فَأَكْرِمْ بِهَذَا الْقَرْمِ جَمِّ التَّخَرُّدِ
فَهَذِي شَهَادَةٌ مَضَتْ يَا مَلَاذَنَا ... فَمِنْ عَمِّكُمْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُمَجَّدِ
فَيَا وَارِثًا مَجْدَ الْجُدُودِ وَسَالِكًا ... بِنَهْجِهِمُ فِي الرُّشْدِ هَادٍ لِمُهْتَدِ
عَلَى أَنَّنَافِي شُكْرِ ذِي الْعَرْشِ خَالِقِي ... بِمَحْضِ الرِّضَا إِذْ سَاقَنَا فِيكَ مُرْشِدِي
صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى خَيْرِ مَنْ سَعَى ... وَءَالٍ وَأَصْحَابٍ كِرَامٍ وَمُقْتَدِ
وَمَا قَالَ عَبْدٌ ءَاسِفٌ فِي طَوِيلِهِ ... دَعِ الْقَوْلَ فِي ذِكْرِ الْغَزَالِ وَعَنْ دَدِ

بقلم/ مود مالك صو/ توواون

1) أي بعد ما كان

قراءة في كتاب

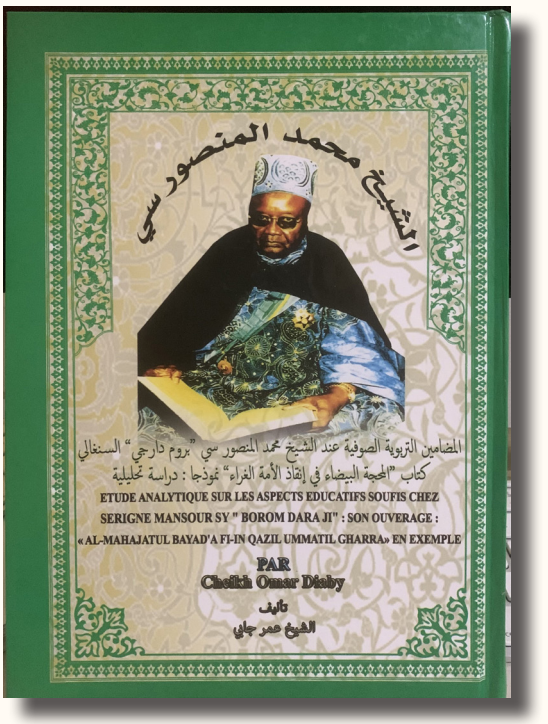

المضامين التربوية الصوفية عند الشيخ محمد المنصور سي «بروم دراجي»، السنغالي، كتاب «المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء» نموذجا دراسة تحليلية

تأليف: الشيخ عمر جابي

فيما يقرب من ٢٤٠ صفحة حاول مؤلف كتاب «المضامين التربوية الصوفية عند الشيخ محمد المنصور سي «بروم دراجي» الغوص في القضايا الكبيرة والحساسة التي تطرقت إليها كتاب «المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء» والذي قام بتسويد صفحاته وتحرير أفكاره الشيخ الكبير والعالم الجليل الخليفة العام للطائفة التجانية الشيخ محمد المنصور سي، (رحمه الله ونور ضريحه)، وهو هنا يسعى عبر صفحات وفصول ومباحث الكتاب إلى تقديم صورة مكبرة تعرفنا بالشيخ محمد المنصور سي «بروم دراجي»، عبر التناول المسهب والمطول لسيرته وحياته وأعماله وإنجازاته وإسهاماته العلمية المتعددة والنافعة وتلاميذه المنتشرين في هذا القطر الكبير من غرب إفريقيا، حيث يحصي لنا المؤلف عددا كبيرا من هؤلاء وأماكن نشأتهم وسكنهم، وهو ما يعطي دلالة مؤكدة على الجمهور الكبير والسواد الأعظم من الناس الذين ترك هذا الشيخ الجليل أثرا عظيما وتراثا هائلا في مسيرة حياتهم الفكرية والتربوية والعلمية.

لقد كانت الغاية من الفصل الأول لهذا الكتاب المهم والمرجعي عن حياة وأعمال وأدوار الشيخ محمد المنصور سي إبراز الخلفية الأسرية والاجتماعية والعلمية التي نشأت في أحضانها الشيخ الجليل، وبيان دور الأحداث والوقائع المختلفة التي عايشتها في مشوار حياته الحافلة بالمواقف الخالدة في تكوين الشخصية الفذة والوطنية والإسلامية لهذا الزعيم الديني، ولقد كانت النتيجة أن كان لهذا الشيخ دورا فاعلا وموقفا مسئولا تجاه كل القضايا والأحداث السياسية والاجتماعية والدينية التي حدثت في بلده بعد ذلك، وقد أورد المؤلف القدير سلسلة من المواقف والشهادات والكتابات التي تبرهن على هذه المكانة الكبيرة وعلى هذه الزعامة الدينية والفكرية للشيخ في عدة مناسبات.

يأتي مؤلف الكتاب في الفصل الثاني إلى التناول المباشر والملموس للغرض من تأليف الكتاب موضوع الدراسة التحليلية التي قام بها؛ وهو كتاب «المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء»، فبين كيف أنه جاء رد فعل من تصريحات ومواقف رئيس الجمهورية «عبد الله واد» من مبادرة مسئولة وواعية قامت بها عدة جمعيات إسلامية لتعديل قانون الأحوال الشخصية السنغالية ومحاولة توفيقها مع أحكام الشريعة الإسلامية، وإثر تصريحات الرئيس بمعارضته المبدئية للقبول بهذه المبادرة وعدم سماحه بدخول هذا القانون المقترح لمبنى البرلمان، سعى الشيخ محمد المنصور إلى ضم كلمته إلى كلمة أولئك الزعماء والقادة الدينيين من منطلق تأييدهم ومؤازرتهم وتقوية موقفهم، فكان هذا الكتاب المفحم في إعطاء الأسباب الوجيهة والمبررات المنطقية لدعوة السلطات الحاكمة إلى القبول بها.

إن هذا الكتاب حافل بكم هائل من المعلومات النادرة والنفيسة عن الشيخ محمد المنصور سي، كما يكشف النقاب عن موقف وطني شريف ووعي تربوي كبير اضطلع بهما هذا الشيخ الجليل في ذلك الوقت العصيب من تاريخ السنغال، ودوّنه كتابا يبقيه للأجيال القادمة، وخيرا فعل «الأستاذ عمر جابي» عبر قيامه بدراسة تحليلية مستفيضة لمضامين هذا الكتاب القيم.